

التناقضات الثقافية و استراتيجيات الهويات -الوضعية الكولنيالية أنموذجا-

الأستاذ جناوي عبد العزيز

جامعة الجلفة - الجزائر

تُطرح إشكالية الهوية الوطنية بقوة وبحدة، لأن الأمر يتعلق بموضوع استراتيجي يهم كيان الأمة ووجودها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها « ... فمنذ أن عرف العرب الغرب المستعمر الذي فرض عليهم نمطه في الحداثة أصيبوا بصدمة عميقة زلزلت كيانهم ومزقته ، وفرضت بقوة سؤال الهوية في مواجهة الآخر الغربي العدو. ولم يكن السؤال في هذه الحالة يحتمل سوى إجابة واحدة هي: التأكيد على الهوية العربية الإسلامية و لاسيما في مضامينها القومية و الدينية الأكثر تعصبا و رفضا للغرب و أحداثه جملة و تفصيلا »¹ لعل ما يبين أن الهوية عملية بناء ديناميكية وأنها المفهوم المركزي في أبعاده المحلي ، الإقليمي و الدولي لما يمثله من اختلاف و نزاعات دولية و قومية ، لقد تفتت الإتحاد السوفيتي إلا بمطالب سياسية و اقتصادية تعكس إيديولوجيات الخطاب الهوياتي للقوميات و الثقافات و ابرز ما جاء في إعادة صياغة العالم أو ما يعرف بالنظام العالمي الجديد كفكر لإعادة هوية العالم . « و من الواضح تماما أن مفهوم أو تصور النظام العالمي الجديد كان عاديا عند بوش من اجل إعادة الإمساك بمعنى الهوية المفقودة في نهاية الحرب الباردة »²

فالهوية تحمل مضامين متعددة:

- المضمون الاجتماعي : من حيث الانتماء الطبقي أو المركز من خلال الدور و الوظيفة.

- المضمون الثقافي : من حيث الدين، اللغة، العادات والتقاليد والعرف،

أو القيم الاجتماعية المشتركة والرموز.

¹ محمد صالح الهرماسي: مقاربة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2001، صص 17-18

² جورج لارين : الإيديولوجية و الهوية الثقافية، الحداثة و حضور العالم الثالث ، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مندوبولي، القاهرة، مصر، 2002، ص 260.

الأستاذ جناوي عبد العزيز

- المضمون السياسي : من حيث الدولة الوطنية أو القومية أو المواطنة ،
الايولوجيا السياسية كالتنظيمات والأحزاب.

«في نهاية الألفية، أدت الصراعات والمطالب إلى قلق متزايد حول الهوية و
احتلت مكانا رئيسيا في جميع أنحاء العالم. وقد نشأت حروب في أعقاب تصاعد
المشاعر القومية أو الدينية ويبدو أن تأكيد الهوية من منطق "إعادة تأصيل" في
فضاءات - حقيقية أو وهمية والتي تعتبر أدوات لمصادقته الحقيقية³ .

لذلك تعتبر الهوية من خلال عنصري التميز والاختلاف، وهي تتميز في
من جهة بالخصوصية الفردية الذات الفردية ومن جهة أخرى تتحرك في السياق
الاجتماعي، إذ نقرر أهمية جماعة دون الأخرى حسب درجة الانتماء، فمنظومة
الانتماءات تتركب من دوائر عرضية، فالإنسان ينتمي انتماءً مركباً يحكم فيه
الانتماء الواسع إلى الانتماء الضيق ويكون الانتماء الوطني قوياً يتجاوز الانتماء
القبلي، والانتماء الديني يتجاوز الوطني، وعندما تتعرض منظومة الانتماء للتآكل،
فإن التآكل يبدأ في الدوائر الكبرى وليس العكس، « الهوية هي مجموعة الصفات
أو السمات والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عن سواهم من أفراد
الأمم الأخرى⁴ » وهذا ينطوي على خطوتين متميزتين:

1/ تحديد المكونات الرئيسية لهويتنا.

2/ تقييم أهميتها النسبية⁵.

لذلك فإن هوية الفرد والجماعة تتطلب البحث عما يتفرد به هذا الفرد
أو الجماعة ، و بالتالي فإن الهوية الاجتماعية تتحول إلى هوية ثقافية عند
استخدامها لأغراض التمييز والتصنيف بين نحن و هم على أساس ثقافي «إذا
بحثنا عن مدى الوعي بالهوية عند فرد أو جماعة فإن الأمر يتعلق بالانتقال من
التفرد إلى الأفراد أي إبراز ما هو مختلف عن الغير وإغفال ما هو مشابه لهم
«ومنه يمكن القول أن موضوع الهوية يتسم بالتعقيد والتداخل بين دوائر الهوية
من الميكروكوسم microcosme إلى الماكروكوسم macrocosme ، عبر الصيرورة

³ بنصريف 07 p : Ben Meziane Thaalbi : L'identité au Maghreb ; Editions Casbah ; Alger ; 2000 ;
محمد صالح الهرماسي: مرجع سبق ذكره، ص 20

⁵ بنصريف 50 p : Amartya Sen : Identité et Violence ; odile jacob ; floch amayenne ; France ; 2007 ;
⁶ محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية قضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2003، ص 105

التناقضات الثقافية و استراتيجيات الهويات -الوضعية الكولنيالية أنموذجا-

التاريخية من الأنا الفردية إلى الأنا الجماعية أو الأمة (الهوية القومية) ، و يوجد بعدان في مسألة تعقيد الهوية :identité complexe

1/ البعد الفردي.

2/ البعد الاجتماعي والسياسي من حيث الانتماء.

« إننا نعطي اتساقا حقيقيا لهويتنا من خلال تشكيل وساطة رمزية التي تجعل كلا البعدين واضحين، ويترتب عنهما التفكير ومشروع بين الوجداني والوظيفي، هذه الوساطة التي بدأتها جدلية الهوية تجعل للفرد تجسيد معقدة instance complexe خلال استراتيجيات لرغباته و استراتيجيات سياسية و مؤسساتية للمواطن⁷»

وهنا تتمظهر الهوية أو إثبات الهوية بين ما هو ذو وظيفة وجودية للهوية و وظيفية عملية في الانتماء إلى الجماعة الاجتماعية من خلال عناصر مشتركة ، و التي تتأكد في مضامينها الرمزية داخل السياق السوسيو- تاريخي(الدين، اللغة، التاريخ...) وهذا ما يمنح للهوية ديناميكية و لذلك ” فبنية الهوية”- لها جانبان:

- هوية " استاتيكا " و تتعلق بالرغبات والحاجات الخاصة بالفرد الأنا.
- هوية " ديناميكا " و تتعلق بنشاطات الهوية في حركيتها سواء م حيث الاختلاف أو التميز.

فالهوية بين تجسدين متضادين:

- تجسد ذاتي و واقعي (الرغبات، الحاجات...).
- تجسد الانتماء والجماعية (السلطة السياسية).

فالهوية هي تمثيل رمزي للجدلية بين البعدين المتضادين « من النادر أن يحافظ المجتمع على كيانه المتماسك في غياب الدولة و إنكار وجودها أصلا كما حدث في الجزائر لمدة قرن و ثلث، و على الرغم من أن المجتمع الجزائري لم يكن في أي وقت أقلية في بلده كما آل إليه أمر الهنود الحمر في الشمال الأمريكي فان بقاءه

بتصرف 47 p ; 2002 ; p.u de lyon,France ; Politique et Identité , Bernard Lamizet

الأستاذ جناوي عبد العزيز

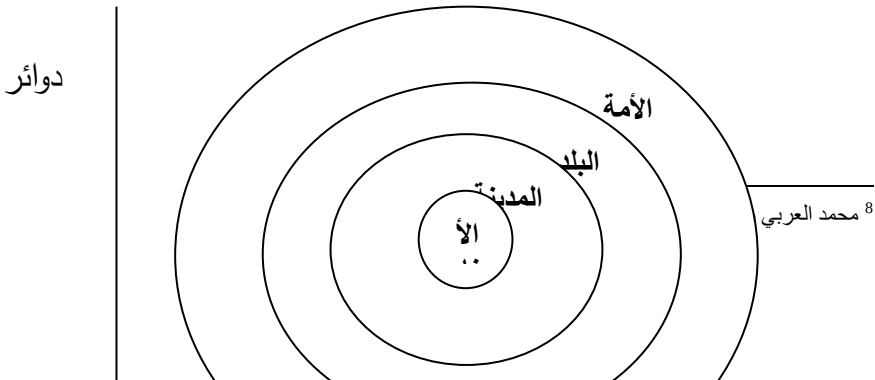
كيانا واحدا و متماسكا يرجع أساسا إلى الرسوخ الهوية العربية الإسلامية ،و القبول الطوعي لوحدة المرجعية الجماعية»⁸

إن الوعي بالهوية يتضمن في محتواه الثقافي و ما تمثله من نشاط رمزي و التي تضفي على الفرد وعيا بوجوده المادي و الاجتماعي، ووعيا بانتمائه من خلال آليات التنشئة الاجتماعية ومضامين ثقافية عبر حركة التاريخ. إن الفرد مجبر على الانتماء إلى جماعة دون استشارته والاعتراف بسمات الهوية، و التي تصبح « سمات شخصية » إلا أن الوعي بالهوية أو ما يعرف بإثبات الهوية أو " التكنه" في محتواه السوسيو- الثقافي و خاصة الرمزي يتم من خلال حركة التاريخ و النشاط السياسي الذي يتضمن إيديولوجية الجماعة أو الجماعات ذات سمات شخصية ثقافية متطابقة و هي الشعور بالانتماء و إرادة الاختلاف مع الآخر.

إن خطاب الهوية هو خطاب إيديولوجي يتجه نحو الآخر بغية تأكيد الذات ورفض تماهيا مع الآخر و ما يطرحه من أفكار تصورات متناقضة، إنها سياسة الممانعة التي تتخذ صيغة ثقافية. وحين نتحدث عن هوية شعب أو أمة فإننا نعني بذلك خصائص تاريخية ، دينية، لغوية و نفسية، تؤدي إلى الفصل بشكل حاسم بين جماعة وأخرى كمسافة ثقافية ، لذا تمثل الهوية نتاج تاريخي وجغرافي.

فالفرد يولد في منزل يصبح بالنسبة له مركز العالم، ويصبح مرتبط بعلاقة حميمة بالعائلة في الدائرة الصغرى، ثم يتدرج إلى الانتماء إلى العشيرة أو القبيلة ، الحي ، فالمدينة ثم الوطن، وكلما تقدم توسعت دائرة الانتماء إلى الجماعة الاجتماعية والوطن، وتأخذ حيزا كبيرا من الانتماءات الأخرى في الدائرة الكبرى، و يتعزز فيه مفهوم الانتماء ثقافيا للوطن، بالقدر الذي تتراجع فيه الانتماءات الأخرى، لصالح الهوية الأكبر، الهوية الجامعة، هوية الوطن.

رسم مخطط توسع دائرة الهوية



إن خطاب الهوية يطرح نفسه كخصوصية ثقافية على المجتمع في صيرورته أن يحافظ عليها، وعلى الآخر ألا يهددها أو يعمل على اختراقها. تصبح الهوية بذلك بنية مصمتة مقابل المثاقفة، على اعتبار أن الآخر دوماً هو راغب في محو ثقافتها وجاد في العمل على تغيير حضارتها ومعالم وجودها، يرى جان فرانسوا بايار أن الهوية لا تعدو أن تكون وهماً، فليست هناك سوى استراتيجيات للهوية. «إن دينامية الهوية في تنوعها وتعقيدها لا يتم الكشف عنها إلا في حالة التغير أي وجود أزمة ثقافية... وكما أشار Erikson أن الهوية هي التي من شأنها أن تصبح واضحة في حالة أزمة»⁹

فالهوية الثقافية ذات شأنٍ وطنيٍّ ومجتمعيٍّ فهي صانعة الإنسان ، وهي حافظة للتراث والتاريخ، فإنَّ الثقافة تؤدي دوراً بالغ الأهمية في الحفاظ على خصوصيات الهوية في سياق الممارسات الاجتماعية خاصة في بعدها الرمزي (الأمة) ، وذلك أنَّ الثقافة لها الأسبقية عن السياسي .وبما أن الهوية الوطنية مدينة للثقافة التي أوجدتها، ، تعزز الهوية الثقافية التي تُكسب الأمة مكونات هويتها الوطنية، وفي ترسيخ حضور هذه الهوية في مختلف مناحي الحياة والأنشطة الإنسانية جميعاً. لذلك فإن الهوية "موضوعياً" لا يكون لها معنى أو

⁹ بنصرف 20 p ; opcit : Ben Meziane Thaalbi

الأستاذ جناوي عبد العزيز

شكل للفرد إلا من خلال شعور هوياتي بطبيعته النفسو-اجتماعي، و ترسيم وحدات الانتماء سواء كانت إقليمية أو اجتماعية أو ثقافية (جماعات دينية، اثنية، مهنية...) ، فهي تظهر كشرط مسبق للتفكير في إنتاج الهوية باعتبارها مرجعيات و النظر في توزيع هذه العلامات» عندما تنتقل من فكرة المماثلة الذاتية للهوية إلى تقاسمها مع أفراد آخرين ينتمون إلى جماعة معينة (مفهوم الهوية الاجتماعية غالبا ما يكون هذا النموذج) ، القضية تصبح أكثر تعقيدا . الواقع في أيامنا هذه هناك عدد كبير من القضايا السياسية والاجتماعية ذات صلة بالهويات المتباينة داخل الجماعات المختلفة التي تعبر عن مطالب متضاربة حسب رؤيتنا للهوية التي تؤثر بطرق مختلفة على أفكارنا وأفعالنا»¹⁰.

ولذا فإن الإدارة الفرنسية سعت في الجزائر أثناء الاحتلال إلى العمل على إحداث تغيرات مصيرية خطيرة في الهوية القومية أو الوطنية و التي تتعلق بمكوناتها الثابتة كليا، باعتبارها مرجعيات أساسية في تحديد الهوية وهي الإسلام واللغة العربية من خلال دوافع ثقافية و إيديولوجية ضمن استراتيجيات الهوية أو ما يسمى بصراع الهوية ، أو المواجهة بالعناصر الثقافية المذكورة على أنها اختلاف في رسم حدود و تخوم الهوية (أزمة هوية). و لجأت السياسة الفرنسية الاستعمارية إلى اتخاذ استراتيجيات باعتبار أن المغرب العربي له خصوصيات مقارنة بالشرق العربي «إن خصوصية المغرب العربي مقارنة الشرق ليست موضع خلاف من حيث وجودها الموضوعي فقد لاحظها المفكرون من القديم لكن الخلاف هو بين تأويلاتها فهي على الصعيد إما مضخمة إلى حد إنكار الهوية العربية الإسلامية وإما مهمشة إلى حد اختفائها تماما من هذه الهوية»¹¹

إن الإدارة الفرنسية كانت تتجه نحو فرض نوع من العلاقات في المجتمع الجزائري بفرض إستراتيجية إدارية و تعليمية بغرض الهيمنة الثقافية، عبر عناصر ثقافية تعمل على تفتيت الهوية أو توطين هوية جديدة لها ولاء لفرنسا كتعليمية

¹⁰ بتصرف Amartya Sen : opcit ; p10

¹¹ محمد صالح الهرماسي : مقارنة في إشكالية الهوية عن محمد عابد الجابري التراث و الحداثة ، مرجع سبق ذكره ، ص35.

التناقضات الثقافية و استراتيجيات الهويات -الوضعية الكولنيالية أنموذجا-

اللغة الفرنسية، حركات التبشير و التجنيس، و من ضمن استراتيجيات لضرب الهوية القومية أو الوطنية ببعديها العربي و الإسلامي اعتمدت إلى عملية المتثاقفة للمجتمع الجزائري من خلال علاقة مهيمن/من مهيمن Dominant/Dominé أو فرض حالة اغتراب aliénation و هدم للقيم و المعايير الاجتماعية « يستعمل مفهوم الاغتراب للإشارة أيضا إلى حالة اللانتماء و يهدم القيم و المعايير و غياب المعاني و الغايات الكبرى و القلق و اليأس حتى في العلاقات مع الذات و ليس مع الآخرين و المؤسسات و النظام العام و المجتمع فحسب »¹²

لذا حالة الاغتراب و التي يسعى من خلالها المهيمن إلى فرض واقع التبعية والاستسلام و الخنوع على المهيمن ، و بتعبير كارل ماركس يملكه نهائيا توجد في ثلاث مستويات¹³ :

1/ الواقع الاجتماعي: يرتبط بتفكك القيم و المعايير
2/ التجربة الذاتية على مستوى المشاعر و الوعي (العجز، الحرمان..)

3/ السلوك: (العزلة، الخضوع، التمرد) وينطوي على:

1. الانسحاب (الهجرة، الهروب)
 2. الخضوع : المصالحة، الاستسلام، التعاون،
(التنازل)
 3. الثورة: (الحركات الثورية...)
- لذا حالة الاغتراب و التي يسعى من خلالها المهيمن إلى فرض واقع التبعية والاستسلام و الخنوع على المهيمن ، و بتعبير كارل ماركس يملكه نهائيا توجد في ثلاث مستويات¹⁴ :
- إن استراتيجيات الهويات تعبر عن حركات اجتماعية في وضعيات صراعية أو المواجهة، كالتغيرات في مواقف الهيمنة (أقليات عرقية، دينية ...) بين

¹² حلیم بركات: الهوية، أزمة الحداثة و الوعي التقليدي ، رياض الريس للكتاب و النشر، بيروت، لبنان، 2004 ، ص 93.

¹³ حلیم بركات : مرجع سبق ذكره ، ص 98

¹⁴ المرجع السابق: ص 98

الأستاذ جناوي عبد العزيز

الثقافة الأصيلة والتشكل الثقافي الوافد modelage culturel للأفراد الذي يؤدي إلى ضياع الهوية وتحطيم الذات الفردية وفقدان الهوية المرغوب فيها (حالة اغتراب) «إن استراتيجيات الهويات هي نتيجة الإعداد الفردي والجماعي للفاعلين ويعبرون عن تبعيتهم بتسويات مصنوعة من يوم لآخر بدلالة تغيرات الوضعيات والرهانات»¹⁵ ومن هنا نجد أن المجتمع الجزائري رفض في بدايات الاحتلال الفرنسي تعليم أبنائه اللغة الفرنسية في المدارس واتخذ موقفا مضادا تجاه الإدارة الفرنسية باعتبارها تهدد القيم الاجتماعية والثقافية للمجتمع « إن الفرد يكون في وضعية المثاقفة يتلقى حالة من تهديد القيم الاجتماعية لجماعة الانتماء...لذا هو بحاجة إلى تأمين هويته الاجتماعية ايجابيا...فالفرد يتبنى مختلف الإستراتيجيات الفردية و الجماعية التي تسمح له بتقييم ذاتيته الفردية و الجماعية».¹⁶

وهذا النوع من فرض إستراتيجيات لضرب الهوية على المستوى الفردي و المستوى الجماعي بإبعاده عن كل ما يربط الفرد أو الجماعة بالخصوصيات الحضارية من الدين، اللغة، التاريخ... وخضوعه لسلطة عليا تتمثل في الدولة أو المؤسسة في ظل نظام التبعية، وإيجاد واقع اجتماعي مغاير. « إن الهوية الوطنية و الثقافية ليست دائمة الحضور في الحياة اليومية للأفراد وأن الشعور بالهوية يكون قويا بسبب الظروف و المواقف التي تهدد القيم الثقافية أو الهوية»¹⁷ وعلى حد قول "فرانتز فانون" في كتابه "أقنعة بيضاء وبشرات سوداء"، يلبس الفرد في ظل ظاهرة الاغتراب والانسلاخ أقنعة الآخر ما يجعله تائها في عالم ازدواجية الأنا والشخصية والهوية، وفي النهاية يجد نفسه مثل اللقيط الذي لا يُعرف له أصل ولا نسب.

نجد أن الإدارة الفرنسية عمدت إلى أساليب وطرق قمعية مادية وتعسفية ثقافيا لفرض النموذج الغربي على الحياة العامة للجزائريين، ونشروا سائل تدمير

Camilleri : Stratégies identitaires, ,Paris ;puf ; 1990 p.49 ¹⁵C.

¹⁶ Pierre R.Dasen et Tania Ogay : Pertinence d'une approche comparative pour la théorie des stratégies identitaires in pluralités et dynamiques

identitaires ,L'harmattan ;Paris ;France ;2000 ,p 59 بتصرف

¹⁷ Hanna Malewska-Peyre :Dynamique de l'identité ;stratégies identitaires ;opcit ,p31 بتصرف

التناقضات الثقافية و استراتيجيات الهويات -الوضعية الكولنيالية أنموذجا-

خفية لتفكيك الشخصية الجزائرية «الذات الجزائرية» (مجلد المسائل الحضارية والثقافية و التاريخية الموحدة). وتفتيت الهوية إلى هويات متعددة مرنة على مستوى المشاعر و الوعي بالخضوع التام و الاستسلام للواقع الجديد و التكيف معه (حالة اللانتماء):

- نشر الإلحاد في المدارس الفرنسية.

- بث الشبهات حول القرآن و الرسول.

- الدعوة إلى الحضارة الفرنسية.

« ظهر الكاردينال لافيغري في الجزائر ليكون مؤسس التبشير بها في سنة 1867 وهي سنة اشد السنوات هولاء على المسلمين الجزائريين... و استغلها فرصة سانحة ليصدع برسائله فكان يطوف بالأنحاء التي فتك بها الجوع و المرض يحمل الصليب في يمينه و الخبز و الدواء في شماله ، و جمع طائفة من الأيتام و اليتيمات و يبلغ عددهم 1500 شخصا فرباهم في ظل الكنيسة و على دين المسيحية... كانت مجلة En terre d'islam (في العالم الإسلامي) مليئة بهذه الآمال الكبار و التنقيص من قيمة الإسلام و بث الشبه حول تعاليمه..¹⁸ ».

إن الصحف الجزائرية تأخرت في معالجة ظاهرة التبشير و نشر المسيحية و تعليم اللغة الفرنسية في المؤسسات التعليمية، إلا في بدايات القرن العشرين (1927) و ذلك ضمن سياسة المثاقفة Acculturation المنتهجة من اجل إنتاج نخب مثقفة فرنكوفونية تتبنى المشروع الفرنسي كحضارة و ثقافة متباينة مع الثقافة و الحضارة العربية الإسلامية. و نجد في بدايات القرن العشرين وقفت النخب العربية و الإسلامية من المشروع الفرنسي ضمن استراتيجيات متعددة في كيفية التعامل مع هذا المشروع بخيارات:

استراتيجيات إثبات الهوية

تظهر عملية إثبات الهوية كإستراتيجية سواء على المستوى الفردي من خلال تأكيد الذات (الهوية الفردية) خاصة ضمن التنشئة الاجتماعية سواء برفض أو قبول قيم الجماعة ، و على المستوى الجماعي في المحافظة و تدعيم

¹⁸ محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص139

الأستاذ جناوي عبد العزيز

الهوية الجماعية endogroupe مقابل رفض الآخر كمهدد لها exogroupe و بالتالي فإن إثبات الهوية يتضمن استراتيجيات تتمثل في:

1 / إثبات الهوية كوظيفة انتولوجية fonction ontologique :

ظهرت في خضم الأحداث حركات وطنية إصلاحية بضرورة التمسك بالشخصية العربية الإسلامية و الدعوة للحفاظ على الهوية الوطنية في بعدها العربي والإسلامية، أي تبني الثقافة الأصلية ك تعلم اللغة العربية و التمسك بالتعاليم الإسلام عن طريق الكتابات والزوايا، و التي لا تعني فقط شروط وجود الأمة بقدر ما تعني معنى للأمة و رفض الثقافة الفرنسية كتعلم اللغة الفرنسية والتجنس و مقاومة المشروع التغريبي و أنه امتداد للحروب الصليبية «ليس ثمة شك في أن الغزو الفرنسي للجزائر كان في بعض وجوهه امتداد للحملات الصليبية على البلاد الإسلامية فلقد أوضحت لنا فضائع قادة الحملة الفرنسية على الجزائر منذ السنوات الأولى للاحتلال بان هؤلاء الدخلاء إنما جاءوا ليحولوا أرضا عربية إسلامية إلى مستعمرة لاتينية مسيحية»¹⁹

إن هذه الحركات التحررية و المقاومة ترى في الثقافة الأصلية نوع من التمركز حول الذات الجزائرية بخصوصياتها égocentrisme ، و أن بينها و بين الآخر مسافة ثقافية باعتبار أن الثقافة هي الوسيط الرمزي للانتماء و الشعور بالتجذر الهوياتي enracinement identitaire، و لذلك يعتبر الأفراد أن القيم المتصارعة مهمة في بناء الهوية و بتعبير Camelleri استثمار الذات في النظام الثقافي و الاجتماعي « إن الثقافة هي مجموع الممارسات الاجتماعية و التي من خلالها تعطينا لهويتنا مجموع من التمثيلات الرمزية²⁰» و هذا الدفاع عن مقومات الهوية ضد الثقافة الدخيلة كبناء للهوية جاء ضمن ظروف جديدة بين الواقع المفروض و الواقع المنشود.

2 / إثبات الهوية كوظيفة عملية Fonction Pragmatique :

وهي أن يتلاءم و يوائم الوضع الجديد بحيث يتكيف مع عناصر الثقافة الجديدة و الاندماج داخل هذه الثقافة، و لكن بشروط من خلال

¹⁹ المرجع السابق: المجلد الثاني، ص 68

بتصرف 68 p ;opcit Bernard Lamizet²⁰

التناقضات الثقافية و استراتيجيات الهويات -الوضعية الكولنيلالية أنموذجا-

المحافظة علة الخصوصيات الثقافية ضمن إستراتيجية مقبولة من حيث توافقات فرضتها هذه الظروف، في مقابل المواجهة ومحاولة تقارب المسافة الثقافية وتمثل جريدة (المصباح) 1904 نقطة وصل بين الفرنسيين و العربو شعارها ” من أجل فرنسا بواسطة العرب و من اجل العرب بواسطة فرنسا”، و العمل على نهضة المجتمع الجزائري بدراسة العلوم الحديثة و تطوير التعليم و ليس المقصود فرنسا الجزائريين» تقول السلطة الاستعمارية للإنتجلنسيا الناشئة أن الحل الوحيد للتخلص من واقع الاستعمار هو التمثل تكاملوا إذا فرديا في الجسم الاجتماعي الفرنسي، و كان جواب معظم أهل الفكر بإمكانه المجتمع الجزائري تمثل كل شيء و البرهان وجودنا إذا صراحة أو موارد الواقع الاستعماري واقع اعتباطي أو عل الأقل لا يجب اعتباره نهائي»²¹

«...فبعضهم يحاول إقناع المسلمين الجزائريين بضرورة التعليم الفرنسي و يرغب الآباء في إلحاق أبنائهم به، و بعضهم يهيب بالأمة الجزائرية بأن يحافظ على التعليم العربي و يسعى لتطويره... جاء في جريدة (المبشر) مقال لمحمود بن الشيخ علي من ضرورة التعليم و تعليم اللغة الفرنسية مبرا دورها في التثقيف و ضرورة واقعية... كيف و قد صارت اللغة الفرنسية و كتابتها في هذه الأعصر وسيلة لا غنى عنها في العلوم ...»²²

3/ إثبات الهوية كتمثل Assimilation

هذا التوجه يتبنى هوية مناقضة للهوية الأصيلة و طرح هوية بديلة اي استيراد هوية مسبقة الصنع لها مضامين ثقافية غربية تحمل محتوى إيديولوجي متبناة من قبل نخبة مثقفة فرنسية، و إحداث انشطار في المجتمع الجزائري و تقسيمه إلى ثنائيات لغوية، اثنيه، «...و لذلك فانه لامناص في رأي تلك النخب، وليس كلها من الاستغراب (occidentalisation) أي استدماج الغرب و تمثلها كما هي باعتبارها وصفا جاهزة للشفاء من أمراض التخلف، بغض النظر عن الصيرورة التاريخية و جذورها الثقافية المجتمعية»²³

²¹ عبد القادر جغول : الاستعمار و الصراعات الثقافية، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1984، ص 65.

²² محمد ناصر: مرجع سبق ذكره، ج2 ص 12-13

²³ محمد العربي ولد خليفة: مرجع سبق ذكره، ص 218.

الأستاذ جناوي عبد العزيز

هذه الإنتلجنسيا تربت في أحضان المدرسة الفرنسية و راحت تنادي بضرورة تطوير المجتمع عبر تبني الحضارة الفرنسية والاهتمام بالحقوق السياسية للمجتمع ، و الدعوة إلى الزواج المختلط و التجنيس...«إن حوادث الحرب الكبرى تمخضت عن مجتمع جديد في القطر الجزائري وكيف بعثت أيامها العصبية جيلا من المثقفين تخرج أكثرهم من المدارس الفرنسية و تشبع بروح المدنية الغربية و اقلهم متخرج من المعاهد العربية كالزيتونة والأزهر و القرويين و كيف بات الصراع بين الثقافتين محاولة لمسك بأزمة الجماهير و تسخيرها لهذه الفكرة أو تلك²⁴» هذا الوضع انتج تخبطين مثقفتين ثقافة متباين ضمن منظومة انتماءات نخبة تدعو إلى الحفاظ على مقومات الهوية العربية و الإسلامية، و التجذر بهذه الهوية و الدفاع عنها (التجذر الهوياتي Enracinement Identitaire) و أخرى ترى انه يجب إعادة النظر في الهوية بحكم التاريخ قبل الفتح الإسلامي و الموقع الجغرافي الذي هو جزء من حضارة المتوسط ، وعليه فالانفتاح عن ثقافة و حضارة عصرية يسمح بالاندماج داخل هذه الثقافة » ...ذلك الصراع الفكري كان بين المثقفين بالفرنسية الذين يريدون الحصول على الحقوق السياسية و لو عن طريق الاندماج بالجنس الفرنسي و بين المثقفين بالعربية الذين يريدون أن يكون الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية أساسا لكل إصلاح مهما كان نوعه²⁵».

هذا الوضع المتناقض الذي أوجده المستعمر داخل المجتمع الجزائري، أنتج خطابا حول الهوية يحمل مضامين ذات توجهات متباينة ما زالت موضع جدل و نقاش، و تتبنى إستراتيجية سواء لنفي أو إثبات الهوية المختلف عنها ضمن حقول سياسية ، اقتصادية، و إعلامية.

« السنوات الأولى من القرن العشرين يستهل المجتمع الجزائري المرحلة الأولى من نهضته التاريخية ملتصقا خطاه و تظهر العناصر الأولى من انتلجنسيا جديدة تربت جزئيا على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري ، انتلجنسيا محدودة...انتلجنسيا هشة : نخبة صغيرة دون قاعدة اجتماعية مهمة لا توشك أن تنقطع

²⁴ محمد ناصر: مرجع سبق ذكره، ص86.

²⁵ المرجع السابق: ص88.

التناقضات الثقافية و استراتيجيات الهويات -الوضعية الكولنيالية أنموذجا-

عن المجتمع الجزائري و تندمج بشكل فردي في المجتمع الاستعماري :انتلجنسيا عطوبة...و في داخل النخبة يمارس الغرب إغراءه و يأخذ التجنيس و الزواج المختلط أهمية و يعرف الكثيرون تجربة (البدء من الصفر) ، ونكران الواقع الاستعماري الراهن متناسين الهزيمة الماضية حتى أن البعض يحلم باندماج فردي في المجتمع الفرنسي²⁶ »

إن تبني استراتيجيات الهويات هو رصد مواقف نخبوية مازالت تعمل ضمن نشاط هوياتي تلتقي حولها إيديولوجيات منها من تطالب بالاندماج الثقافي و الفكري للثقافة الدخيلة، على أنها ثقافة مشتركة وذات حضور تاريخي شاركت في عصرنة المجتمع الجزائري، و منها من ترفض هذه الثقافة باعتبارها تهدد مقومات الأمة العربية الإسلامية، و تعتبرها ثقافة غريبة مناقضة تماما و مهددة للتماسك الإجتماعي كدعوة إيديولوجية و ليس حقيقة موضوعية.

المراجع

- جورج لارين : الإيديولوجية و الهوية الثقافية، الحداثة و حضور العالم الثالث ، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2002.
- حليم بركات: الهوية، أزمة الحداثة و الوعي التقليدي ، رياض الريس للكتاب و النشر، بيروت، لبنان، 2004 .
- عبد القادر جغلول : الاستعمار و الصراعات الثقافية ، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1984.

²⁶ عبد القادر جغلول: مرجع سبق ذكره ، ص72.

الأستاذ جناوي عبد العزيز

- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية قضايا اللسان و الهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 .
- محمد صالح الهرماسي: مقارنة في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2001 .
- محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الأول - الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1978.

-Amartya Sen : identité et violence ;odile jacob ;floch amayenne ;France ;2007 .

-Bernard Lamizet : politique et identité ,p.u de lyon,France ;,2002

-Ben Meziane Thaalbi : L'identité au Maghreb ; Editions Casbah ; Alger ; 2000.

- Jacqueline Costa et autres : pluralités et dynamiques identitaires :L'harmattan ;Paris ;France ;2000